ظل العداء قائماً بين المماليك وبين مغول ايران بعد وفاة السلطان الظاهر بيبرس ، وقد استغل اباقا الاضطرابات الداخلية التي سادت بلاد الشام ومصر على اثر وفاة بيبرس ، وتنازع الامراء على السلطة ، وخروج الأمير سنقر الأشقر على حكم قلاوون ، واعتقاده بأنه يؤازره على اثر المراسلات التي تبودلت بينهما ، ويتفق معه على قتال السلطان الجديد ، فأرسل قوة استطلاعية في جمادى الأولى عام 679ه/أيلول 1280م إلى شمالي بلاد الشام لسبر اغوار المماليك وجس نبضهم ، واستطاعت هذه القوة ان تحتل عينتاب وبغراس ودربساك وحلب التي ارتكب فيها افرادها اعمالاً وحشية جرياً على عادتهم ، فأحرقوا المساجد والمدارس ودار السلطنة ودور الامراء .

لقد انهمك المماليك بالخلافات الداخلية التي نشبت بينهم ، لا سيما بين قلاوون والمماليك الظاهرية ، فضلاً عن عصيان الأمير سنقر الأشقر ، وثورات الارمن .

استغل السلطان غازان حالة الضعف التي سادت مصر اثناء اغتصاب عرش الناصر محمد ، على يد كل من كتبغا ولاجين ، لمهاجمة بلاد الشام ، والراجح ان العوامل التي شجعته على القيام بغاراته هو التجاء الأمير سيف الدين قبجق ، نائب دمشق المملوكي ، مع اتباعه من الامراء وخمسمائة من جنده ، إلى غازان ، وإطلاعه على ما آلت اليه الأوضاع في بلاد الشام ومصر من التدهور .

كانت الأوضاع الداخلية لدولة المماليك تمر في حالة ارتباك ، بفعل الصراع على السلطة بين كتبغا ولاجين ، قرر غزو بلاد الشام ، وهذا يعني ان الايلخان المغولي نظراً إلى علاقاته مع المماليك المسلمين من المنظار السياسي وليس الديني ، بهدف تحقيق طموحات المغول السياسية بالاستيلاء على بلاد الشام ومصر ، وتحطيم الروابط ، ويبدو ان الامراء الذين خرجوا مع السلطان الناصر محمد لم يكونوا على وفاق ، وساد بينهم الحسد والتباغض ، بدليل انه لم يكد الموكب السلطاني يصل غزة حتى اكتشف السلطان مؤامرة دبرها زعماء الطائفة العويراتية المغولية ، وانضم اليهم الامراء الناقمون هدفها التخلص من السلطان ووزرائه ، ولا سيما الاميرين سلار وبيبرس .

التقى الجيشان عند مجمع المروج ، شرقي حمص حيث دارت بينهما رحى معركة ضارية في 27 ربيع الأول عام 699ه/23 كانون الأول 1299م ، اسفرت عن هزيمة المماليك انتصار المغول ، وغادر السلطان الناصر محمد ارض المعركة إلى بعلبك ومنها إلى دمشق تاركاً وراءه كميات وافرة من العتاد والمؤن ، وكان من الأسباب في هذه الهزيمة المؤامرة التي دبرت للتخلص من السلطان الناصر محمد وامرائه في اضعاف الروح المعنوية لقواته .

شجع هذا الانتصار غازان على مواصلة الزحف نحو دمشق ، ولما علم اهل دمشق بذلك ، دب الرعب في قلوبهم ، وتزاحموا على أبواب مدينتهم يريدون الخروج منها ، فسار بعضهم باتجاه مصر ، واعتصم بعضهم الآخر بقمم الجبال والقرى النائية ، فتوسط بعض الاعيان في طلب الأمان لاهل المدينة فتم ذلك .

امتدت ايدي المغول إلى بيت المقدس والخليل والكرك تنهب وتدمر وتأسر من دون رحمة ، ودخلوا غزة . وعين غازان الأمير قبجق ، الذي اتصف بالتقلبات السريعة ، والياً على بلاد الشام ، كما اسند اليه ولاية القضاء والخطبة ، واقام قتلغ شاه قائداً للحامية التي تركها في بلاد الشام والبالغة ستين الفاً .

قرر غازان استقطاب الأمير عز الدين ايبك الافرم ، نائب الشام ، فأرسل اليه كتاباً يوضح فيه انه حين هاجم بلاد الشام من قبل لم يكن معتدياً ، وان السلطان اخطأ في تقدير الموقف السياسي ، فلم يتبع طريق اللباقة في رده ، ويضيف بأن بلاد الشام كانت تابعة فيما مضى للروم تارة ، وللعراق تارة أخرى ، ولم تكن تابعة لمصر ، وطلب منه ان تكون غزة والرملة من ثغور مصر ، وبرر تصرف جنوده السيء انه حصل بغير امره ، وعرض عليه الدخول في طاعته .